

الخطاب في القرآن الكريم

د/ نجبة غلام نبي (*)

المقدمة :

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ،
والصلاة والسلام على من أرسله ربه للعالمين بشيراً ونذيراً ، وعلى آله
وأصحابه وأزواجه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

قال الله تعالى : **الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ۝** (سورة الرحمن (١-٤)) .

امتن الله تعالى على عباده بتعليمهم البيان وهو النطق وما يستتبعه
من التعلم والتعليم والحوار .. الخ .

إن الخطاب القرآني هو أحد الأساليب الحيوية الهامة لتوصيل الإسلام
إلى الناس عامة ، وبما أن حياة الناس في تجدد وتطور ، فإن الأسلوب
الإسلامي يحتاج كذلك إلى تجدد وتطور مع المحافظة على الثوابت (العقيدة
- العبادات - الأخلاق - الأحكام الشرعية من حلال وحرام) .

(*) الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن - قسم الكتاب والسنة -
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.

والقرآن الكريم خاطب العامة والخاصة ، كما خاطب العقل والوجدان ، وربط بين تهذيب الروح والجسد .

وعلى من يتصدى للدعوة إلى الله تعالى فهم الأساليب القرآنية في الخطاب ، فلكل مقام مقال ، ولكل حادثة بيان .

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً .

الفصل الثاني : طرق تحصيل الخطابة .

الفصل الثالث : أنواع الخطاب القرآني .

الفصل الرابع : ضوابط الخطاب الإسلامي .

وأختم بخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات .

وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول

تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً

الخطاب لغة :

خَطَبَ : الخاء والطاء والباء ، أصلان :

الأصل الأول : الكلام بين اثنين ، والأصل الآخر : اختلاف

لونين^(١).والخطاب: الكلام الذي يقصد به الإقناع^(٢)، والخطب والمخاطبةوالتخاطب: المراجعة في الكلام. ومنه الخطبة والخطبة ، لكن بالضم يختص بالموعظة ، وبالكسر يختص بطلب المرأة^(٣) .

والخطاب والمخاطبة : مفاعلة من الخطاب والمشاورة ، ويقصد بها

المراجعة في الكلام^(٤) . ومنه قوله تعالى: فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي ﴿٥﴾

طه(٩٥) ، ترك موسى ﷺ الكلام مع أخيه وخاطب السامري بذلك أي ما

شأنك وما الذي حملك على ما صنعت ثم أجاب السامري كما قص الله

علينا^(٥). قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ (الذاريات(٣١)) ، بعد بشارة

الملائكة إبراهيم ﷺ سأل الملائكة عن سبب مجيئهم وإرسالهم من جهة الله

فأجابوه بما قص الله علينا^(٦) .

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ١٩٨/٢ ، ط ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، دار الجيل .

(٢) الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القزويني ، تحقيق د. عدنان درويش ، محمد المصري ، ص(٣٤٩) ، ط الثانية ١٤٣٢ - ٢٠١١ ، مؤسسة الرسالة ، دمشق .

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، ٥٥٠/٢ ، ط بدون ، المكتبة العلمية ، بيروت .

(٤) انظر : لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، ٣٦٠/١ - ٣٦١ ، مادة خطب ، ط الثالثة ، ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، دار صادر ، بيروت . جامع البيان في مفردات القرآن ، جمع وتحقيق أ.د. عبد الحميد هنداوي ، ٢٩٣/١ ، ط الأولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

(٥) فتح القدير للعلامة محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ٤٦٨/٣ ، ط الأولى ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، أ.د. وهبة الزحيلي ، ٢٩/٢٧ ، ط الأولى ١٤١٠ - ١٩٩٠ ، دار المعرفة ، بيروت .

والخطاب يطلق على : الكلام ، الرسالة . وفصل الخطاب : الفصاحة والفهم في الحكم بين أمرين ، أو الحكم بالبيئة أو باليمين ، أو الفصل بين الحق والباطل ، أو الفقه في القضاء ، أو التمييز بين الحكم وضده ، أو هو خطاب لا يكون فيه اختصار مخل ولا إسهاب ممل ، أو هو قول : أما بعد ، وداود عليه السلام أول من قال : أما بعد ، ومعناه : أما بعد ما مضى من الكلام فهو كذا وكذا ، وأول من قال : أما بعد من خطباء العرب قس بن ساعدة الإيادي^(١).

الخطاب اصطلاحاً :

للخطاب مفهوم^(٢).

المفهوم الأول : أصيل ثابت بسيط غير مركب ؛ عرفته العرب وورد في القرآن الكريم^(٣) وفي حديث النبي ﷺ وفي المعاجم اللغوية .

ومنه في القرآن الكريم قال الله تعالى : وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَآتَيْنَاهُ

الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴿٢٠﴾ أي أن داود عليه السلام أعطي الفهم

وفصل الخطاب ، وهو ما ينفصل به الأمر من الخطاب ، في القضاء والمحاورة والخطب^(٤) ، والبيان الشافي والكلام الفاصل بين الحق والباطل^(٥) ، ورفع الشبه وإقامة الدلائل . بالكلام البين الذي يفهمه من يخاطب به ، وكان يقيم بذلك العدل الجالب محبة الخلائق ولا يخالفه أحد^(٦).

(١) قس بن ساعدة من بني إباد ، أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية كان يفد على قبصر الروم زائراً فيكرمه وهو معدود في المعمرين طالت حياته وأدركه النبي ﷺ قبل النبوة ورآه في عكاظ . انظر الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ٣٩/٦ ، ط الثالثة .

(٢) انظر : المعجم في اللغة والنحو والصرف والإعراب والمصطلحات العلمية والفلسفية والقانونية والحديثة ، غريد الشيخ محمد ، ٩٦/٣ ، ط الأولى ٢٠١٠-١٤٣١ ، النخبة ، بيروت . دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، ٧٠٧/٣ - ٧٠٨ ، ط الثانية ، ١٩٧١ ، دار المعرفة ، بيروت .

(٣) موقع من ألنت ، شبكة الشاهد ، الخطاب الإسلامي : دلالة المفهوم والمصطلح ، د/ عصام البشير . ورد في القرآن الكريم لفظ (خطاب) ٦ مرات ، في سورة هود آية (٣٧) ، المؤمنون آية (٢٧) ، الفرقان آية (٢٢) ، سورة ص في آيتين (٢٠-٢٢) ، سورة النبا آية (٣٧) .

(٤) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ٥٢-٥١ / ٢٠ ، ط الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣ ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، بصائر ذوي التمييز ٥٥٠ / ٢ .

(٥) التفسير المنير ، ١٨٠ / ٢٣ .

(٦) تفسير القاسمي المسمى صحتان اشتريل ، محمد عصام البشير ، ١٠٤-١٠٦ ، ط الثانية ١٩٧٨ ، دار الفكر ، بيروت . التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، بإشراف أ.د. مصطفى مسلم ، ٤٤٧/٦ ، ط الأولى ١٤٣١-٢٠١٣ ، جامعة الشارقة .

عن قتادة^(١) : (وفصل الخطاب) شاهدان للمدعي ويمين للمدعي عليه، وبه فصلت الأنبياء والرسول ، وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة^(٢) . ونلاحظ في الآية أن الخطاب مقرون بالحكمة ؛ وبذلك يتضح أن فصل الخطاب لا يتم على الوجه الأفضل إلا إذا اقترن بالحكمة وكان القصد منه بيان وجه الحق على أكمل الوجوه وأتمها ووضع الأمور في مواضعها وتبديرها على ما ينبغي لها^(٣) ، لأن الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والعمل بمقتضى ذلك^(٤) .

أما المفهوم الثاني : فإنه معاصر وذو طبيعة تركيبية ، يتعدى بها الدلالة اللغوية إلى المدارك الفلسفية والأبعاد السياسية والمرامي الإعلامية . وإلى هذا المعنى تنصرف الأذهان عند الحديث عن الخطاب الإسلامي باعتبار أن المقصود هو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم ، والمنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها إلى القطاع الأوسع من الرأي العام العالمي ، وغير ذلك عبر وسائل الإعلام والتواصل المختلف من مقروءة ومرئية ومسموعة^(٥) .

والخطاب الديني الحكيم : هو الذي يراعي فيه المتكلم أو الخطيب أو الكاتب أحوال الناس ، ويكون مواكباً للأحداث ، ومتاثراً بها ، ومعلقاً عليها ومؤيداً لما هو حق منها^(٦) .

(١) قتادة بن دعامة السدوسي الأكمة ، كان قوي الحافظة ، واسع الإطلاع في الشعر العربي قال عنه ابن سيرين هو أحفظ الناس وقال ابن حبان في الثقات كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ أهل زمانه ، توفي سنة ١١٧ هـ وعمره ٥٦ . انظر : التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ، ١/ ١٢٥ - ١٢٦ ، ط الثانية ١٣٩٦ - ١٩٧٦ .

(٢) الاكليل في استنباط التنزيل للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، راجعة وأشرف على تحقيقه أبو عبد الله مصطفى بن العدوي ، تحقيق عادل شوشة ، ص (٥٣١) ، ط ١٤٣١ - ٢٠١٠ ، مكتبة فياض ، المنصورة .

(٣) شبكة الشاهد .

(٤) الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني من خلال مؤلفه إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ، تحقيق د/ قاسم صالح ناجي الريمي ، ١٤٩/١ ، الأولى ١٤٣٤ - ٢٠١٣ ، دار عالم الكتب ، الرياض .

(٥) شبكة الشاهد .

(٦) موقع من النت ، الخطاب الديني وكيف يكون ، د/ محمد سيد طنطاوي .

الهدف من الخطابة :

التأثير في نفوس السامعين ، ومخاطبة وجدانهم ، وإثارة إحساسهم للأمر الذي يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم ؛ ليدعوا للحكم إذعاناً ويسلموا به تسليماً^(١) .

وقد اعتمد الإسلام على الخطابة كأداة للتبليغ ، وتنفيذ حجج الخصوم ، وإعلان قيم الإسلام ومثله وآدابه وأحكامه ، فأصبحت وسيلة الدعاة المفضلة ؛ بل صارت شعيرة من شعائر بعض العبادات^(٢) ، وهي القناة لإبلاغ المسلمين عندما يحزبهم أمر أو يلم بهم خطب أو تظهر الحاجة لاستنهاض الناس واستنفارهم^(٣) فالخطيب يرشد السامع إلى ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه ، ويقيم له مراسيم لتقويم عيشه ، والاستعداد إلى معاده^(٤) .

والاعتناء بالمعاني المبنوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم ؛ فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد ، والمعنى هو المقصود ؛ بل إن المعنى الإفرادي قد لا يعبا به إذا كان المعنى التركيبي مفهوماً دونه^(٥) . فيلزم الاعتناء بفهم معنى الخطاب لأنه المقصود والمراد ، وعليه ينبغي الخطاب ابتداءً ، وكثيراً ما يُغفل هذا النظر بالنسبة للكتاب والسنة فتلتبس غرائبه ومعانيه على غير الوجه الذي ينبغي ، فتستبهم على الملتبس ، وتستعجم على من لم يفهم مقاصد العرب ، فيكون عمله في غير معمل ، ومشبه على غير طريق . والله الوافي برحمته^(٥) .

(١) الخطابة ، أصولها ، تاريخها في أزهر عصرها عند العرب ، الإمام محمد أبو زهرة ، ص (١٩) ، ط بدون ، دار الفكر العربي .

(٢) وذلك مثل خطبة الجمعة ، خطبة العيدين ، وخطبة يوم عرفة ، وخطبة صلاة الكسوف ، وصلاة الاستسقاء ، ونحو ذلك .

(٣) الموسوعة العربية العالمية ١٠/١٠٦ ، كما كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده يجمعون الناس إذا أرادوا إبلاغهم شيئاً معيناً ، والآن يصدر بيان من الديوان الملكي أو الأميري أو الرئاسي عند حدوث خطب أو تبليغ أمر .

(٤) الخطابة ص (٢٣) .

(٥) من ذلك ما رواه ابن كثير عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر . فقال عرفنا ما الفاكهة فما الأب ؟ فقال : لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف ، فهو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه ، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض . وإن المراد هو الامتنان على بني آدم بهذه النعم .

أنظر : تفسير القرآن العظيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٥) بتصرف شديد من تفسير القاسمي ٩٩/١ - ١٠١ .

الفصل الثاني

طرق تحصيل الخطابة

الخطابة أحد الفنون النثرية ، وهو القول المنطوق المخاطب به جمع من الناس بقصد التعليم أو الإقناع أو التسلية^(١)، والخطابة مظهر اجتماعي للمجتمع الراقي ، تحيا برقي الجماعة وتخبو بضعفها^(٢)، والخطابة قوة تتكلف الإقناع الممكن في الأشياء المفردة^(٣).

وعلى الخطباء أن يأخذوا بعين الاعتبار أربع نقاط^(٤) :

١) شخصية الخطيب وثقافته :

من أكثر العوامل أهمية للتأثير في نفوس المستمعين شخصية الخطيب وثقافته ؛ لذلك على الخطيب أن يخلص قوله وعمله لله تعالى ، وأن يكون نقي السيرة والسريرة ، وأن يضبط نفسه ويحتمل المكاره ، ويكون في فعله أوعظ منه في قوله ، وأن يكون لديه الثروة الكثيرة من الألفاظ والأساليب ، وأن يتمرس على هذا الأمر مع الاطلاع على الكثير من العلوم التي تتصل بالجماعات وقراءة كلام البلغاء .

قال الله تعالى على لسان موسى ﷺ : قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِمَآزَرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ (طه ٢٥ - ٣٢) .

(١) الموسوعة العربية العالمية ١٠/١٠٤-١٠٦.

(٢) الخطابة ، ص (٢٢) .

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ، ٣/ ٧٠٩ .

(٤) انظر الموسوعة العربية العالمية ، ١٠/ ١٠٥ ، الخطابة ، ص (٢٢-٢٣) .

فهذه الأمور التي طلبها موسى ﷺ يحتاجها كل داعية وكل صاحب فكرة أو إصلاح وهي :

أَشْرَحَ لِي صَدْرِي

أي وسعه لتحمل أعباء الرسالة والصبر على مشاقها^(١)؛ وذلك لأن الدعوة أمر عظيم وخطب جسيم^(٢)، فيحتاج أن يكون عنده قدرة على احتمال الرأي الذي يخالفه فلا يكون قلبه ضجراً ؛ بل يتحمل العناد والمهاترة^(٣) وكذلك يتحمل الأذى القولي والفعلي ولا يتكدر قلبه بذلك ولا يضيق صدره فإن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم^(٤).

لذلك ينبغي على الداعية أو الخطيب بسط أكف الضراعة إلى الله تعالى لطلب ما يعينه على أداء مهمته من شرح قلبه وأن يجعله حليماً حمولاً يستقبل ما عسى أن يرد عليه في طريق التبليغ والدعوة إلى مر الحق من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات ، وفي طلب ذلك إظهار لكمال الافتقار إليه عز وجل وإعراض عن الأنانية بالكلية^(٥).

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

يدعو ربه ان ييسر له أمره ويسهل عليه فإن لم يكن الله عوناً ونصيره وعضده وظهيره ، فلا طاقة له بذلك^(٦)، وتيسير الله لعباده هو أجل

(١) التفسير المنير ٢٠١/١٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣١٥/٤.

(٣) زهرة التفاسير للإمام محمد أبو زهرة ٤٧١٨/٩ - ٤٧١٩ ، ط بدون ، دار الفكر العربي - القاهرة .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم محمد زهري النجار ، ٢٣٠/٣ ، ط ١٤٠٨ - ١٩٨٨ ، دار المنني بجة .

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل السيد محمود الألوسي البغدادي ، ضبطه وصححه علي عبد البار ع- عطية ، ٤٩٦/٨ ، ط الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ ، دار الكتاب الطميه ، بيروت .

(٦) تفسير ابن كثير ٣١٥/٤.

الأمر وأعظمها وهو ضمان النجاح ، وخاصة أن الطريق طويل وشائك ومجهول^(١)، ومن تيسير الأمر أن ييسر الله للداعي توفيق الأسباب ورفع الموانع ، بحيث يخاطب كل أحد بما يناسبه ، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله^(٢) .

وَأَحْلَلْ عَقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي

يسأل الله أن يحل عقد لسانه لئلا يستخف به الناس وينفروا منه ولا يستمعوا لقوله ، فإذا انطلق لسانه فقهوا ما يقول ويحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني^(٣) .

وَأَجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي

التعاون ضروري لإنجاح المقصود ، وتحمل أعباء الرسالة أو الدعوة، وبه يتزايد الخير ويتكاثر ، ودعم الأنبياء والدعاة تقتضيه حاجة نشر الدين^٤ . لذلك قال عيسى عليه السلام : مِّنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ خَنُّ أَنْصَارُ اللَّهِ ((آل عمران ٥٢)) .

وهذه العوامل من دواعي أداء الرسالة ، بدئت إنشراح الصدر فهو يحول مشقة التكليف إلى متعة ، ويحول عناءه إلى لذة ، ويجعله دافعاً للحياة ، لا عبئاً يثقل خطى الحياة^(٥) .

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٤٧٠ / ٥ ، ط الخامسة ، ١٣٨٦ - ١٩٦٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) روح المعاني ٤٩٦ / ٨ ، تفسير السعدي ، ٢٣٠ / ٣ . تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة د/ هاشم محمد علي مهدي ، ١٧ / ٢٧٥ ، ط بدون ، دار طوق النجاة ، بيروت .

(٣) انظر تفسير المراغي ، ٨٧ / ٦ ، ط الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . تفسير السعدي ٢٣٠ / ٣ .

(٤) انظر تفسير القاسمي ١٦٢ / ١١ . التفسير المنير ٢٠٤ / ١٦ - ٢٠٥ .

(٥) في ظلال القرآن ، ٤٧٠ / ٥ .

وتيسير الأمر إنما هو التوفيق، وكل مجتهد مسلوب التوفيق لا محالة فلا يفلح ولا ينجح في الوصول إلى مراده إلا بتوفيق الله وتيسيره .

ولما كان البيان من لوازم التبليغ لتصل الكلمة إلى القلب ،لذا كان واجباً على الداعية ان يأخذ من اللغة ما يقيم به لسانه ، ويعينه على بيان الحق الذي معه ، فيكون طيب الكلام ، صادق النية ، سليماً في التعبير ، ورقيقاً في الأسلوب ، ولا بد من الصحة على طريق الدعوة ؛ لأن حملها ثَقِيل تخففه الرفقة الصالحة المتجانسة في الفكر والهم^(١).

وهذه الدعوات التي دعا بها موسى ﷺ يحتاجها من يقوم بمثل هذا الشأن ؛ من شرح الصدر ، وتيسير الأمر ، وطلاقة اللسان ، وأخ موات - والمقصود أخوة خالصة في الله - على السراء والضراء ، ومن عانى أمر الدعوة إلى الله عرف أهمية هذه الدعوات ؛ فبدون شرح الصدر لا يستطيع الإنسان أن يقوم بالدعوة إلى الله ، ولا أن يتحمل لأواءها أبداً ، وبدون تيسير الأمر ينكسر قلب الداعية إلى الله ، وبدون طلاقة اللسان لا تقوم الحجة ، ولا يوصل إلى المقصود ، وبدون أخ موات مؤازر في السراء والضراء يستشعر وتُثَبُّ الشكوى إليه يحس الداعية بغربة هائلة محزنة^٢.

(٢) الموضوع :

على الخطيب أو الداعية أن يختار الموضوع المناسب حسب الحوادث والمناسبات ،ويقوم بأقصى مجهود له فيه ، وذلك بالبحث المستفيض والإعداد الجيد والعبارات الواضحة والأسلوب الجذاب والألفاظ التي تؤثر في القلوب .

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ٤/ ٥٢٧ - ٥٢٨ .
(٢) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ٤/ ١٦ ، ط السابعة ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ ، دار السلام ، القاهرة .

وهذا الأمر يحتاج إلى تضافر الجهود من قبل الداعية ومعاونيه ،
وذلك بتوزيع الاستبانات وجمع المعلومات ومعرفة الاحصائيات ، فإن
المواضيع في زمننا الحاضر متشعبة وشائكة .

(٣) المخاطبون :

عن ابن عمر^(١) رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " إن من الشجر
شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم ، حدثوني ماهي؟ قال: فوقع الناس
في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة .

ثم قالوا : حدثنا ماهي يا رسول الله ؟ قال : (هي النخلة)^(٢) .

في الحديث استحباب إلقاء السؤال على السامعين ، ليختبر فهمهم
وذكاءهم ، وليستقر العلم في أذهانهم بعد سماع الجواب ، وهذا أحسن طرق
التعليم ، وفيه ضرب الأمثال للناس ، لزيادة التوضيح والبيان ، ولهذا أكثر
القرآن من ذكر الأمثال في كتابه العزيز^(٣)، قال تعالى : وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (النور (٣٥)) .

فعلى الخطباء أن يكتشفوا ما يعرفه المستمعون عن الموضوع الذي
يتحدثون عنه ، وهذا يفيدهم في فهم المعلومات الحقيقية وتوضيحها وتثبيتها
في أذهانهم ، وربما غيروا آراءهم مع الاقناع أو تفنيد شبه الخصوم ودحض
حججهم ليتراجعوا عما وهموه واعتقدوه .

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أسلم مع أبيه قبل البلوغ ، أول مشاهده الخندق ، كان كثير الاتباع لآثار
رسول الله ﷺ ، كان كثير الصدقة والحج ، لم يقاتل في شيء من الفتن ، توفي سنة ٧٢ وعمره ٨٦ ، وقيل غير
ذلك . = انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين ابن الأثير الجزري ، ٣/ ٢٣٦ - ٢٤١ ، ط ١٤٠٩ -
١٩٨٩ ، دار الفكر ، بيروت .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من
العلم ، ١/ ٢٠٠ ، رقم الحديث ح (٦٢) .

(٣) الشرح الميسر لصحيح البخاري ، للشيخ محمد علي الصابوني ، ١/ ١٢٦ ، ط الأولى ١٤٣٢ - ٢٠١١ ،
المكتبة العصرية ، لبنان .

كما ينبغي مراعاة الفروق الفردية بين المخاطبين وتفاوتهم في العلم والإدراك ، ومراعاة أحوالهم وظروفهم وأعمارهم واهتماماتهم ونحو ذلك .
وقد قال علي عليه السلام (١) : (حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟) (٢).

وقال عبد الله بن مسعود عليه السلام (٣) : (ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) وفيه دليل على أن المشتبه من الكلام ، لا ينبغي أن يذكر عند العامة (٤).
(٤) المناسبات :

على الخطباء أن يفكروا بعناية في زمان ومكان إلقاء الخطبة ، فلكل مقام مقال ، ولكل مناسبة حديث ، ولا شك أن الخطبة في المسجد تختلف عن الخطبة في الميادين العامة أو الأسواق ، وخطبة تلقى على مسامع أهل القرى تغاير خطبة تلقى على مسامع أهل المدن ، وخطبة العيد ليست كخطبة الخسوف والكسوف والاستسقاء وهكذا .

(١) علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ ، وكنتيته أبو الحسن ، أخو رسول الله وصهره علي ابنته فاطمة ، شهد جميع المشاهد مع النبي ﷺ إلا تبوك لأن النبي ﷺ خلفه على أهله ، روى عنه عدد من الصحابة والتابعين ، قال له النبي ﷺ (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) بويح بالخلافة سنة ٣٥ وقلته ابن ملجم في رمضان سنة ٤٠ هـ وأرضاه . انظر أسد الغابة ٣ / ٥٨٨ - ٦١٩ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، ٣٠٤ / ١ ، رقم الحديث (١٢٧) .

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي حليف بني زهرة أسلم سادس ستة ، خادم النبي ، أول من جهر بالقرآن بمكة ، هاجر الهجرتين وصلى القبلتين وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ شهد له النبي ﷺ بالجنة ، أرسله عمر إلى الكوفة معلماً ووزيراً ، توفي سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع . انظر أسد الغابة ٣ / ٢٨٠ - ٢٨٦ .
(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي حجر العسقلاني ، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن باز ٣٠٤ / ١ ، ط الأولى ١٩٩٣ - ١٤١٤ ، دار الفكر ، بيروت . الشرح الميسر ١ / ٢١٢ .

الفصل الثالث

أنواع الخطاب القرآني

وضع الإسلام بمعجزة القرآن الكريم مرجعية أساسية ، لأرقى أساليب الصياغة والتعبير ، يسعى كل كاتب وأديب وخطيب إلى احتذائها وتقليدها ، ويتعلم منها شرف المعنى وعفة اللفظ واتقان الصياغة ؛ فالمعجزة القرآنية الباهرة خاطب الله بها العقل والفكر والقلب والوجدان ، وتحدى به البشرية جمعاء ، وثبت إعجازه بأسلوبه البياني وبمحتواه الفكري والروحي على حد سواء ، فالقرآن جمع بين القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى ، وبين خطاب العامة وخطاب الخاصة ، وبين إقناع العقل وإمتاع العاطفة وبين البيان والإجمال. فهو كما وصفه الله تعالى: كَتَبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ (هود(١)).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية اعتماد الكلمة الطيبة والقول الطيب والقول السديد في خدمة المسلمين والإنسانية للفوز برضا الله في الدنيا والآخرة^(١).

قال تعالى: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا (البقرة (٨٣)).

معناه قولوا لهم الطيب من القول وحاوروهم بأحسن ما تحبون أن تحاوروا به ، وفيه حض على مكارم الأخلاق^(٢) ، والقول الحسن يشمل الحسن في هيئته ، وفي معناه ، ففي هيئته: أن يكون باللفظ واللين، وعدم

(١) انظر : الأدب الإسلامي الفكرة والتطبيق ، الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود ، ص(٢٩) ، ط الأولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ ، دار النشر الدولي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، المعجزة الخالدة ، حسن ضياء الدين عتر ، ص(٧-٨) ط الثانية ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ ، دار ابن حزم ، بيروت . النبأ العظيم ، د/ محمد عبد الله دراز ، ص(١٣٨ - ١٤٦) ، ط الأولى ، ١٤١٧ - ١٩٩٧ ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ٢٦٨/١ ، ط ٥ ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ .

الغلظة والشدّة . وفي معناه : بأن يكون خيراً ؛ لأن كل قول حسن فهو خير ، وكل قول خير فهو حسن^(١) .

والكلام مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية ، فإن كان في الأمور الدينية ؛ فإما أن يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفار ، أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفاسق ، أما الدعوة إلى الإيمان فلا بد وأن تكون بالقول الحسن كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ طه (٤٤) ، أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى ، وقال لمحمد ﷺ : وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ (آل عمران ١٥٩) ، وأما دعوة الفاسق فالبقول الحسن فيه معتبر ، قال تعالى : أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ النحل (١٢٥) ، وقال عز وجل : أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ فصلت (٣٤) .

وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه ، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى : وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا^(٢) ، والإنسان لا يسع الناس بماله ، ولكن يقدر على الإحسان إلى كل مخلوق

(١) تفسير القرآن الكريم للشيخ العلامة محمد بن صالح المنجد ، ١/ ٢٦٩ سورة البقرة ، ط الأولى ١٤٢٣ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .
(٢) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، ٣/ ١٦٩ ، ط الثانية ، دار الكتب العلمية ، طهران .

بحسن القول ، فيكون في ضمن ذلك ، النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار ولهذا قال تعالى : **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** (العنكبوت ٤٦)) ، ومن الأدب الذي أدب الله به عباده ، أن يكون الإنسان نزيهاً في أقواله وأفعاله ، غير فاحش ولا بذئ ولا شاتم ولا مخاصم ؛ بل يكون حسن الخلق امتثالاً لأمر الله ورجاءً لثوابه^(١) . كما قال النبي ﷺ : **(والكلمة الطيبة صدقة)**^(٢).

إن الخطاب الإسلامي هو الإطار الأوسع للدعوة الإسلامية بالمفهوم العميق والشامل^(٣) ، ويشمل كل بيان لإبراز حقائق الإسلام وشرائعه وتاريخه وراثته في شتى مجالات الحياة عبر مختلف الوسائط والوسائل الإعلامية^(٤) . فالقرآن الكريم لم يلتزم مصطلحاً واحداً للوجوب أو المنع ، ولكن تعددت الدلالة على ذلك بصيغ مختلفة بحسب طبيعة السياق ومقصد الآية حتى تكون الدلالة دقيقة في تطابقها مع مقصد الشارع وحال المكلف^(٥) . وإليك مثلاً واحداً على ذلك :

براعته في تصريف القول عند طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية^١ :

(١) الإتيان بصريح مادة الأمر ، نحو قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا (النساء ٥٨)** .

(١) تفسير السعدي ٧٣ / ١ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب من أخذ بالركاب ونحوه ، ٢٣٧ / ٦ ، رقم الحديث (٢٩٨٩)

(٣) موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة ، د/ عبد العزيز التويجري .

(٤) موقع الوعي الإسلامي ، تجديد الخطاب الديني ضرورته وضوابطه .

(٥) في أصول الأحكام ، د/ سعيد سالم سعيد فائدي ، ص(٤٧-٤٨) ، ط الأولى ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ ، المكتبة الجامعية ، ليبيا .

(٦) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، ٣١٩ / ٢ ، ط بدون ، دار الفكر . في أصول الأحكام ، ص(٤٨) .

فواجب على كل مؤتمن على شيء أن يحفظه ويرعاه حتى يؤديه إلى صاحبه^(١).

(٢) الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين ، نحو قوله عز وجل: يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ (البقرة) .

خاطب الله تعالى المؤمنين من هذه الأمة أمراً لهم بالصيام^(٢).

(٣) الإخبار بكونه على الناس ، نحو قوله جل شأنه : وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (آل عمران ٩٧) .

فيه وجوب حج البيت على من استطاع إليه سبيلاً، ووجه الوجوب أن (على) كما قال الأصوليون ظاهرة في الوجوب^(٣).

(٤) الإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه ، نحو قوله جل جلاله : وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ (البقرة ٢٢٨) . وهذا خبر والمراد الأمر ، ومعناه ليتربصن^(٤).

(٥) الإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره ، نحو قوله تعالى : وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا (آل عمران ٩٧) .

أي مطلوب من المخاطبين تأمين من دخل الحرم ، وقد قال جماعة : إن الآية خبر في معنى الأمر، أي ومن دخله فأمنوه^(٥). وقد قال النبي ﷺ

(١) إيسر التفسير لكلام علي الكبير ، لأبي بكر جابر الجزائري ، ٣١٩/١ ، ط الثانية ٢٠١٣ ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٥/١ .

(٣) تفسير القرآن الكريم ، للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ٥٥٩/١ سورة آل عمران ، ط الأولى ١٤٢٦ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم ، ١٠٨/٣ ، ط الثالثة ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٥) تفسير الشوكاني ، ٤٦٧/١ .

(إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئئهم من بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد^(١) بها شجرة....)^(٢) فيه بيان تحريم القتال بمكة وبيان شرف حرمة البلد الأمين وحرمة قطع شجر الحرم^(٣)، فالأمن في مكة للإنسان والحيوان والنبات .

(٦) طلب الفعل بصيغة فعل الأمر ، نحو قوله عزوجل : عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى (البقرة (٢٣٨)) .

يرشد تعالى عباده إلى وجوب المحافظة على الصلوات الخمس وبخاصة الصلاة الوسطى^(٤) ، وهي صلاة العصر ، كما قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً)^(٥) ، ومعنى المحافظة عليها مراعاة أوقاتها ، ومراعاة أركانها ، والقيام بها في غاية ما يكون من الطوق ، وأن الصلاة تحفظهم الحفظ الذي نبه عليه^(٦) في قوله تعالى : إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (العنكبوت (٤٥)) .

(٧) الإخبار عن الفعل بأنه خير ، نحو قوله عز شأنه : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْتَنَى قُلْ إِصْلَاحٌ لِّمَنْ خَيْرٌ (البقرة (٢٢٠)) .
أي إصلاحهم لهم - أي اليتامى - خير فافعلوا الأنفع لهم دائماً^(٧) .

(١) يقطع

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب جزاء الصيد ، باب لا يعضد شجر الحرم ، ٥١٤/٤ ، رقم الحديث (١٨٣٢) .

(٣) الشرح الميسر ، (١/ ١٨٢ - ١٨٣) .

(٤) أيسر التفاسير ١٤٧/١ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب دليل من قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، ١٢٨/٥ ، رقم الحديث (٢٠٢) .

(٦) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ، ٢/ ٤٨١ .

(٧) التفسير الميسر ، إعداد نخبة من العلماء ، ص (٣٥) ط الخامسة ، ١٤٣٤ - ٢٠١٣ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة .

(٨) وصف الفعل وصفاً عنوانياً بأنه بر ، نحو قوله عزوجل: وَلَئِنَّ الْآلِـمَّ مِّنْ

أَتَقَى^(١) (١٨٩) هذا هو البر الذي أمر الله به ، وهو لزوم تقواه على الدوام ؛ بامتنال أوامره واجتناب نواهيه ، فإنه سبب للفلاح ، الذي هو الفوز بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب ، فمن لم يتق الله تعالى لم يكن له سبيل إلى الفلاح ، ومن اتقاه فاز بالفلاح والنجاح^(٢).

(٩) وصف الفعل بالفرضية ، نحو قوله تعالى: قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيْ أَزْوَاجِهِمْ (الأحزاب (٥٠)) أي من بذل المهور والنفقة .

و(فرضنا) بمعنى أوجبنا على المؤمنين من أحكام في أزواجهم ، من حصرهم في أربع نسوة حرائر وما شأوا من الإماء ، واشتراط الولي والمهر والشهود ، ومن إباحة نكاح المؤمنات والكتابيات ، وتحريم نكاح المشركات والكافرات ، إلى غير ذلك مما أوجبه الله أو حرمه على المؤمنين في أنكحتهم^(٣).

(١٠) ترتيب الوعد والثواب على الفعل ، نحو قوله عز شأنه : مَنْ ذَا الَّذِي

يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ (الحديد) .

ندب تعالى إلى الإنفاق في سبيله ، وهذا الأسلوب يستعمل في الأمر العزيز النادر ، والمعنى من هذا الذي ينفق أمواله في سبيل الله محتسباً أجره عند ربه بلا من ولا أذى ، فيضاعف له ذلك القرض فيجعل له بالحسنة الواحدة سبع مئة ، وله بعد ذلك جزاء كريم بمثوبته بالجنة^(٣).

(١) تفسير السعدي ١/ ١٥٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥/ ١٩٩ . منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب ، إعداد أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم ، ص (١٤٩ - ١٥٠) ، ط الأولى ١٤١٦ - ٢٠٠٥ ، دار العاصمة ، الرياض .

(٣) انظر : تفسير المراغي ٩/ ٤٢٨ ، تفسير حدائق الروح والريحان ، ٢٨/ ٤٤٧ - ٤٤٩ .

(١١) ترتيب الفعل على شرط قبله ، نحو قوله جل جلاله : فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا
أَسْتَيْسَرَ مِنْ أَهْدَى (البقرة ١٩٦) .

الحصر : الحبس ، فكل مانع وحابس منع المحرم وحبسه عن العمل
الذي فرضه الله عليه في إحرامه ووصله إلى البيت الحرام ، فله أن
يتحلل ولكن عليه الهدى^(١).

(١٢) إيقاع الفعل منفياً معطوفاً عقب استفهام ، نحو قوله عز من قائل : أَقَمْنَ
مَخَلَقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ (النحل ١٧) .

أي تذكروا ، فإنه لوضوحه بحيث لا يفقر إلى شيء سوى التذكر^(٢) ، ألا
تذكرون عظمة الله فتفردوه بالعبادة^(٣) .

(١٣) إيقاع الفعل عقب ترج ، نحو قوله تعالى : وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤﴾
(البقرة ١٨٥) .

وإنما ختمت الآية بترجي الشكر ؛ لأن قبلها تيسيراً وترخيصاً ، فناسب
ختمها بذلك^(٥) ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ علة الترخيص والتيسير ، وهذا نوع
من اللف لطيف المسلك ، لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقاد من علماء
البيان^(٦).

(١) تفسير الطبري ٣/ ٣٤٢ ، تفسير ابن عثيمين ٢/ ٣٩٨ .

(٢) تفسير العلامة أبي السعود ، ٣/ ٢٥٥ ، ط بدون ، دار الفكر ، بيروت .

(٣) التفسير الميسر ص (٢٦٩) .

(٤) الشكر هو الثناء على المحسن بما أولى من المعروف . انظر بصائر ذوي التمييز ، ٣/ ٣٣٤ .
وحقيقته في العبودية هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه : شهوداً ومحبة .

وعلى جوارحه : انقياداً وطاعة . انظر : مدارج السالكين للإمام العلامة المحقق ابن قيم الجوزية ، ٢/ ٢٥٤ ،
ط الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٥) حقائق الروح والريحان ، ٣/ ١٥٩ .

(٦) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري
الخوارزمي ، ١/ ٣٣٧ ، ط بدون ، دار الفكر .

(١٤) ترتيب وصف شنيع على ترك الفعل ، نحو قوله عزوجل : وَمَنْ لَمْ

يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٤﴾ (المائدة (٤٤)) .

تغليظ في الحكم بخلاف المنصوص عليه ، حيث علق عليه الكفر هنا ، والظلم^(١) ، والفسق^(٢) بعد ، فالآيات الثلاث عامة في كفار أهل الكتاب ، وفي هذه الأمة وفي جميع الناس مسلمهم وكافرهم . فكل من ارتشى وبطل الحكم ، فحكم بغير ما أنزل الله ، فقد كفر وظلم وفسق ؛ لأنه ظاهر الخطاب ، وهذا فيمن كان عامداً . قال ابن عباس^(٣) رضي الله عنهما : إذا فعل ذلك فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وبكذا وكذا . وقال طاوس^(٤) : ليس بكفر ينقل عن الملة °.

(١٥) يأتي بصيغة الوصية ، نحو قوله عزوجل : يُوصِيكُمُ اللَّهُ (النساء (١١)) أي يفرض عليكم^(١).

وقوله تعالى: وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ^٢ (النساء (١٢)) أي يوصيكم الله بذلك وصية^(٧) ، وقوله عز شأنه: وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا (العنكبوت (٨)) أي عهدنا إليه بإيصاله حسن^(٨).

(١) قال تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ المائدة (٤٥) .

(٢) قال تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ المائدة (٤٧) .

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي وهو ابن خالة خالد بن الوليد ، ولدوا النبي وأهل بيته بالشعب من مكة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين حنكه النبي بريقه ويسمى حبر الأمة . كان عمر يأخذ بقوله في الأقضية المعضلة استعمله علي على البصرة وشهد معه صفين ثم عاد إلى الحجاز توفي بالطائف عام ٦٨ وعمره ٧٠ . انظر أسد الغابة ٣/ ١٨٦-١٩٠ .

(٤) طاوس بن كيسان اليماني روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم كان عالماً متقناً خبيراً بمعاني كتاب الله كان يجلس إلى ابن عباس كثيراً وأخذ عنه التفسير قال ابن معين إنه ثقة توفي بمكة سنة ١٠٦ . انظر التفسير والمفسرون للذهبي ١١٢/١-١١٣ .

(٥) انظر تفسير الطبري ٨/ ٤٦٥-٤٤٦ . تفسير القاسمي ٦/ ٤١٥ .

(٦) التفسير الكبير للرازي ٩/ ٢٠٤ .

(٧) المرجع السابق ٢٢٦/٩ .

(٨) أيسر التفاسير للجزائري ٢/ ٦٤٠ .

(١٦) يأتي الأمر في صورة فعل مضارع مقترن بلام الأمر ليدل على الاستمرار مع الدلالة على الوجوب ، نحو قوله جل جلاله : لِيُنْفِقْ ذُو

سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ (الطلاق (٧)).

(اللام) لام أمر ؛ (ينفق) فعل مضارع مجزوم بلام الأمر^(١)، وفيه الأمر لأهل السعة بأن يوسعوا على المرضعات من نسائهم^(٢)، أي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه فيوسع عليهما إذا كان موسعاً عليه ، ومن كان فقيراً فعلى قدر ذلك^(٣). وهذا يفيد أن النفقة ليست مقدرة شرعاً^(٤). وفي الآية استحباب مراعاة الإنسان حال نفسه في النفقة والصدقة^(٥).

من الاستعراض السابق نلاحظ أن خطاب الأمر والنهي ، لم يأت دائماً بالصيغة المباشرة ، وإنما اختلفت الصيغ ، وبالتالي اختلفت الدلالات وهذا نوع من أنواع الإعجاز القرآني .

وقد ذكر العلماء (٧) أن الخطاب في القرآن على أكثر من ثلاثين وجهاً . سأذكر أبرزها فقط :

(١) خطاب العام المراد به العموم، نحو قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا (البقرة (٢٩)).

(١) حدائق الروح والريحان ٤٤١/٢٩ .

(٢) تفسير الشوكاني ٢٩٨/٥ .

(٣) تفسير القرطبي ١٥١/١٨ .

(٤) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعزوف بابن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ١٨٤١ / ٤ ، ط بون ، دار المعرفة ، بيروت .

(٥) الإكليل ص (٦١٧) .

(٦) انظر : البرهان في علم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن لمرشلي ، الشيخ/جمال حمدي الذهبي ، الشيخ/إبراهيم عبد الله الكردي ، ٣٤٩ / ٢ - ٣٧٣ ، ط الأولى ١٤١٠-١٩٩٠ ، دار المعرفة، بيروت. الإتيان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تقديم وتعليق د/ مصطفى ديب البغا ، ٧٤٤ / ٢ - ٧٥٢ ، ط الثالثة ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت . هدي الفرقان في علوم القرآن ، د/غازي غناية ، ١٩٥/٤ - ٢٠١ ، ط الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٦ ، عالم الكتب، بيروت.

خطاب للمكلفين بأسرهم بأن الله خلق لهم معشر بني آدم الأرض وما فيها جميعاً ، فمنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن والجبال ، ومنها ما يتصل بضروب الحرف والأمور التي استتبطها العقلاء . وإنما قال (لكم) أي لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم ، أما الانتفاع الدنيوي فليصلح أبداننا، ولنتقوى به على الطاعات ، وبذلك تتحقق خلافة الله على الأرض . أما في الدين فلاستدلال بهذه الأشياء والاعتبار بها ، لما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ، وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها^(١).

يقول سيد قطب رحمه الله : إن كلمة (لكم) هنا ذات مدلول عميق ، وذات إحياء كذلك عميق . إنها قاطعة في أن الله خلق هذا الإنسان لأمر عظيم . خلقه ليكون مستخلفاً في الأرض، فاعلاً مؤثراً فيها ، إنه الكائن الأعلى في هذا الملك العريض ، فكرامة الإنسان أولاً ، واستعلاء الإنسان أولاً ، ثم تجيء القيم المادية تابعة مسخرة ... والنعمة التي يمتن الله بها على الناس هنا - وهو يستنكر كفرهم به - ليست مجرد الإنعام عليهم بما في الأرض جميعاً ، ولكنها نعمة الاستخلاف والتكريم^(٢).

(٢) خطاب الخاص والمراد به العموم ، نحو قوله عز وجل : يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ..... (الطلاق(١)). فافتتح الخطاب بالنبي ﷺ والمراد سائر من يملك الطلاق بدليل قوله تعالى بعد ذلك إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مما يدل على أن الخطاب للأمة كلها .

قال النسفي : خص النبي ﷺ بالنداء وعمّ بالخطاب ؛ لأن النبي ﷺ إمام أمته وقودتهم ، كما يقال لرئيس القوم : يا فلان ، افعلوا كذا ، إظهاراً

(١) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٥٣/٢ ، بكشاف ٢٢٠/١ .

(٢) بتصرف شديد من في ظلال القرآن ٦٢/١ .

لنقدمه واعتباراً لترؤسه ، وأنه قدوة قومه ، فكأنه هو وحده في حكم كلهم وساداً مسدّ جميعهم^(١).

(٣) خطاب العين ، نحو قوله جل جلاله : يَتَّخِذُ أَمْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ (البقرة) ، وقوله جل شأنه : إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصُّلْبَ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَفِّي فُحْذُ مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ (الأعراف) وقال عز من قائل يَنْبُحُ أَهْبَاطُ بَيْتِهِمْ مِنَّا وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ (هود).

ولم يقع في القرآن النداء بـ (يا محمد) ؛ بل بـ (يا أيها النبي) و(يا أيها الرسول) تعظيماً له وتبجيلاً وتخصيصاً بذلك عن سواه ، وتعليماً للمؤمنين ألا ينادوه باسمه^(٢).

خطاب المدح^(٣)، نحو قوله عز وجل : يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا (سورة البقرة (١٧٨) (١٨٣) (٢٦٤)) وهذا كثير في القرآن الكريم .

عن ابن مسعود ؓ قال : إذا سمعت الله يقول : يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فأوعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه . وله فائدتان :

(١) نقلاً عن الأساس في التفسير ، ٦/ ٢٤٠ .

(٢) الايقان ٢/ ٧٤٥ .

(٣) ذكر الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز خطاب المدح نوع وخطاب الكرامة نوع آخر ، انظر ١/ ١٠٨ ، ولا مانع من جمعهما في نوع واحد والله أعلم .

(١) الحث على ما يأمر به وينهى عنه بعد النداء فإن الإيمان موجب للطاعة والإذعان .

(٢) إكرام المؤمنين بندايم بأشرف أوصافهم وأحبها فيحثهم ذلك الإكرام على لزوم الطاعة والإذعان^(١).

ومن هذا النوع (يا أيها النبي) ، (يا أيها الرسول) وقريب منه (يا نساء النبي) وفيه فائدة التفضيم والإكرام والحث على الطاعة شكراً للنعمة.

(٤) خطاب التشريف ، فكل خطاب قرآني بـ (قل) فإنه تشريف إلهي لأمة محمد ﷺ بأن يخاطبها بغير واسطة ؛ لتفوز بشرف المخاطبة إذ ليس من الفصيح أن يقول الرسول للمرسل إليه قال لي المرسل : قل كذا وكذا ، ولأنه لا يمكن إسقاطها قبل على أن المراد بقاؤها ولا بد لها من فائدة ، فتكون أمراً من المتكلم للمتكلم بما يتكلم به أمره شفاهاً بلا واسطة.

(٥) خطاب الجنس ، نحو (يا أيها الناس) . فإن المراد جنس الناس لا كل فرد ، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب . وفي القرآن سورتان افتتحتا به ، إحداهما في النصف الأول وهي سورة النساء وتشتمل على شرح المبدأ ، وثانيتهما في النصف الثاني وهي سورة الحج وتشتمل على شرح المعاد ، فتأمل هذا الترتيب ما أوقعه في البلاغة .

(٦) خطاب الذم ، نحو قوله عز شأنه : يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا

أَلْيَوْمَ التَّحْرِيمِ (٧) ، قُلْ يَتَأْتِيهِمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ (الكافرون (١)) ،

(١) تفسير القاسمي ٢٥٥ / ١

ولتضمنه معنى الإهانة لم يقع في القرآن الكريم في غير هذين الموضوعين .

وكثر الخطاب بـ (يا أيها الذين آمنوا) على المواجهة ، وفي جانب الكفار على الغيبة إعراضاً عنهم ، كقوله تعالى : قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَتَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُمْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ (الأنفال ٣٨-٣٩) . فواجه المؤمنين بالخطاب وأعرض عن الكافرين .

(٧) الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطب معين ، وقد جمع فيه بين الاستقهام والخطاب فدخله معانٍ آخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك^(١) ، نحو قوله جل جلاله : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ (الحج ١٨) ، وأمثال هذه الجمل مسوقة لتقرير الحقائق بعدها وهذا ما يسمونه فن العنوان^(٢) ، وأمثال هذه الألفاظ تكون مفاتيح للعلوم ومداخل لها^(٣) .

(٨) ابتداء الخطاب بفرضية محايدة لتكون أكثر اقناعاً للآخرين بما هو ثابت أصلاً ومؤكداً^(٤) . نحو قوله تعالى : قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ

(١) تفسير القاسمي ٢٨ / ١ ، وقد ظهر لي والله أعلم أنها تخفف السامع للتفكير في مخلوقات الله تعالى ، أو التعجب من حال من ورد فيهم مثل قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ... النساء (٦٠) .

(٢) معنى فن العنوان أن يتكلم المتكلم في غرض له ، من وصف أو فخر أو مدح أو غير ذلك من الفنون ، ثم يأتي لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من الفاظ تكون عناوات لأخبار متقدمة وقصص سالفة ، ومنه نوع عظيم جداً وهو ما يكون عنواناً للعلوم تستنبط منها علوم كثيرة . انظر : جذائق الروح والريحان ١٩ / ٤١٥ .

(٣) المرجع السابق ١٩ / ٤١٥ .

(٤) منخل إلى الإعلام الإسلامي ، د/ سعيد إسماعيل صيني ، ص (١٧) ط ١٤١١ - ١٩٩١ ، دار الحقيقة للإعلام الدولي .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ (سبا ٢٤) .

(٩) خطاب التهيج^(١)، نحو قوله جل شأنه: وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ (المائدة ٢٣) . أي لا يليق بمن يؤمن بالله واليوم الآخر

أن يترك التوكل على الله ، بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فإنها

لا تؤثر من دون إذنه إن كنتم مُؤْمِنِينَ بالله تعالى والمراد بهذا

الإلهاب والتهيج وإلا فإيمانهم محقق^(٢).

(١٠) خطاب النوع ، نحو قوله عز وجل (يا بني إسرائيل) المراد (بنو يعقوب

عليه السلام) ، ولم يذكروا في القرآن إلا بهذا ؛ والنكته هو أن القوم

لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم ، موعظة لهم وتبليها من

غفلتهم ، سُمُوا بالإسم الذي فيه تذكرة بالله فإن (إسرائيل) معناه (عبد

الله) وبنوه هم اليهود والنصارى^(٣).

(١١) خطاب الاثنين بلفظ الواحد ، كقوله جل جلاله على لسان فرعون :

فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ (طه ٤٩) قوله يَمُوسَىٰ بعد جمعه مع

هارون في الضمير لأمر :

(أ) أفردته بالنداء لادلاله عليه بالتربية .

(ب) لما فيه من معنى التخصيص والتوقيف ؛ إذ كان صاحب رسالة

عظيمة وآيات كريمة ، فموسى عليه السلام هو الأصل في النبوة

وهارون وزيره وتابعه .

(١) التهيج : أي التذكير والحث .

(٢) روح المعاني للألويسي ٣/ ٢٧٨ .

(٣) انظر : البرهان ١/ ٢٥٠ ، تفسير العثميين ١/ ١٤٣ .

(ج) لما كان هارون عليه السلام أفصح من موسى عليه السلام ، عدل عن خطابه حذراً من لسانه^(١).

ونحوه في وصف الاثنين بالجمع قوله تعالى : هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ (الحج ١٩)) ولم يقل (اختصما) ، والمعنى أن الإيمان وأهله والكفر وأهله خصمان ، مذ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب ، وقوله خَصْمَانِ يريد طائفتين ؛ لأن لفظة خصم هي مصدر يوصف به الجمع والواحد ، ويدل على أنه أراد الجمع قوله أَخْتَصَمُوا فَإِنَّهَا قراءة الجمهور^(٢).

(١٢) خطاب التنفير ، نحو قوله عز من قائل : وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ (الحجرات ١٢) .

فقد جمعت هذه الآية أوصافاً وتصويراً لما يناله المغتاب من عرض من يغتابه على أفطع وجه ؛ وفي ذلك محاسن :
 (أ) الاستفهام الذي معناه التقريع والتوبيخ .
 (ب) جعل ما هو الغاية في الكراهة موصولاً بالمحبة ، وإسناد الفعل إلى أَحَدُكُمْ وفيه إشعار بأن أحداً لا يحب ذلك .

(ج) فيه إشارة على أن عرض الإنسان كدمه ولحمه ؛ بل عرض المرء أشرف من لحمه ، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم

(١) انظر : الكشف ٥٣٩/٢ ، المحرر الوجيز ٧٨/١١ ، الاتقان ٧٤٧/٢ .

(٢) المحرر الوجيز ١٨٧/١١ .

الناس، لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى لأن ذلك آلم.

(د) قوله لَحَمَ أَخِيهِ أكد في المنع لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو ، فلم يقتصر على تمثيل الاعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخاً .

(هـ) لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتاً ، فالمغتاب غائب وهو لا يقدر على الدفع لما قيل فيه فهو كالميت .

(و) قوله فَكَّرَ هَتْمُوهُ فيه زيادة مبالغة في التحذير ، يعنى الميتة إن أكلت في الندرة بسبب كان نادراً ، ولكن إذا أنتن وتغير لم يؤكل أصلاً ، فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة .
وهذه مبالغات عظيمة^(١).

(١٣) خطاب التحبيب ، مثاله قوله تعالى : يَتَأَبَّتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴿٤٢﴾ (مريم ٤٢) ، ابتداءً بنداائه بقوله يَتَأَبَّتْ وهو نداء المحبة العاطفة المقربة ، وذلك شأن الداعي الكامل يبتدئ بما يقرب ولا ينفر بل يبالغ في التلطف والرفق ، ولم يوجه لوماً ولكن ساق إرشاده مساق الاستفهام المستدني لا مقام الأمر المستعلي^(٢).

قال الزمخشري : انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق

(١) انظر التفسير الكبير للرازي ١٣٤/٧٨ - ١٣٥. البيرسني ١/٢٠١
(٢) زهرة التفاسير ٤٦٤٦/٩.

،وسأقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة والرفق واللفظ واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصباً في ذلك بنصيحة ربه عزوجل^(١) .

(١٤) خطاب التحنن والاستعطاف ، مثل قوله تعالى : قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ (الزمر) .

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفر وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، فالله يغفر الذنوب جميعاً مع التوبة ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ، ولا يقنط عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت ، فباب التوبة والرحمة واسع^(٢) ، فليس بينه وبين الرحمة الندبة الرخية ، ليس بينه وبين هذا كله إلا التوبة وحدها ، فالباب مفتوح ليس عليه بواب يمنع ، ولا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان^(٣) .

من الاستعراض السابق لأشهر أوجه الخطاب التي وردت في القرآن الكريم .

نجد أن الخطاب في القرآن الكريم الغالب عليه ألفاظ المدح والتشريف والكرامة والتحبب والتحنن ، وتجنب ألفاظ الاستهزاء والسخرية والتحقير والتقليل من الشأن وكذلك ألفاظ الاستعلاء والافتخار ، وأن الله لم يخاطب الكفار بلفظهم إلا في موضعين وإنما يذكرهم بلفظ الغيبة إعراضاً عنهم كقوله تعالى : إن الذين كفروا ، قل للذين كفروا .

(١) تفسير الكشاف ٥١٠/٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٦/٥ .

(٣) في ظلال القرآن ١٥٠/٧ - ١٥١ .

فإذا كان الخطاب الديني مشتملاً على هذا الفيض القرآني الزاخر بكل ما يسعد الناس في دنياهم وآخرتهم ، كان خطاباً له آثاره الطيبة ، وله ثماره الحسنة التي تجعل أبناء الأمة يصلحون ولا يفسدون ، ويبينون ولا يهدمون ، ويجمعون ولا يفرقون ، ويتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ويزداد الخطاب الديني قبولاً عند الناس وإقناعاً للعقول وإرضاءً للمشاعر وشرحاً للصدور إذا كان زاخراً بالأحاديث النبوية الصحيحة ؛ لأنها أحاديث من لا ينطق عن الهوى ومن آتاه الله جوامع الكلم^(١).

(١) موقع من النت ، الخطاب الديني مصدره القرآن والسنة ، لشيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوي .

الفصل الرابع

ضوابط الخطاب الإسلامي

الخطاب عنصر مهم في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ، بوصفه وسيلة للدعوة إلى قيم الإسلام ومثله العليا والتعبير عن العواطف والمشاعر الإنسانية ، والعمل على الرقي الإنساني بمواجهة القيم المنحرفة والمثل المنحطة^(١) .

ومن أهم ضوابط الخطاب الإسلامي^(٢) :

(١) المحافظة على الثوابت في العقيدة :

فلا يجوز الاجتهاد في الإلهيات والنبوات والسمعيات ولا التجديد ولا التطور فيها ، فهو يؤمن بالله ولا يكفر بالإنسان ، يحرص على العقيدة ويراعي فطرة الإنسان وغرائزه ، يؤمن بالوحي باعتباره أساس كل دين ، يبين أركان الإيمان والإسلام ، وما كان معلوماً من الدين بالضرورة ، وما أجمع عليه أهل العلم وكان الخلاف فيها شاذاً .

والأمثلة على ذلك من القرآن الكريم :

قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ (البقرة ١٤٠) ، قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ

فَتَخْرِجُوهُ لَنَا (الأنعام ١٤٨) ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ (الأنبياء ٢٤) ، وَجَعَلُوا

الْمَلٰٓئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمٰنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ (الزخرف ١٩) .

فعلى الداعية الحرص على الخطاب والمحاورة والجدال بكل وضوح

وصدق ، وبالكلام الحسن والأسلوب الشيق والنجدة المقنعة ، قال تعالى :

(١) الأدب الإسلامي ، ص(٢٩) .

(٢) موقع من أنت ، ضوابط الخطاب الإسلامي للدكتور يوسف القرضاوي .

وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (النحل ١٢٥)) وفرضية الصواب في أي رأي : وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ سبأ (٢٤) .

٢) المحافظة على الأحكام الشرعية المقررة والمبادئ الإسلامية :
فالمسلمون ملتزمون بأحكام الإسلام وأوامره ونواهيه في العقيدة والشرعية والسلوك والمفاهيم . فلا ينبغي التخلي عن أي مبدأ من مبادئ الإسلام ، مثل :

أ) حقوق الإنسان . قال تعالى : هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا (البقرة ٢٩) .

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي (الإسراء ٧٠)) ، أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا (المائدة ٣٢) ، يَتْلِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ (الحجرات ١٣) .

وقول النبي ﷺ : (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)^(١) .

وقول عمر رضي الله عنه : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) .

ب) حقوق المرأة : وَهَنٌ مِّثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (البقرة ٢٢٨) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ : (رب من أوصى من سبأخ) ، ١/٢١٣ رقم الحديث (٦٧) ورد حديث النبي في حجة الوداع خطبة يوم النحر .

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ
بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ (آل عمران (١٩٥)).

وقوله تعالى: وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجعلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ (النساء (١٩)).

وقال النبي ﷺ: (إنما النساء شقائق الرجال)^(١)، أي نظائرهم وأمثالهم
في الخلق والطباع فكانهن شققن من الرجال.

وقال النبي ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم
لنسائهم خلقاً)^(٢).

(ج) حقوق الطفل: قال الله تعالى: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِخَ الرِّضَاعَةَ (البقرة (٢٣٣))، وقال تعالى: وَلَا
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ (الأنعام (١٥١)).
وقال النبي ﷺ: (ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن)^(٣).

(د) حقوق الخادم: قال النبي ﷺ: (هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم،
فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا
يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه)^(٤).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البله في منامه، ٦١/١، رقم
الحديث (٢٣٦). وبنحوه أخرجه الترمذي في جامعه، ١٩٠/١، أبواب الطهارة، باب ٨٢، رقم الحديث (١١٣)
قال الشوكاني: رواه الخمسة إلا النسائي، انظر نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام محمد بن علي
الشوكاني، ٢٨١/١، ط بدون، دار الفكر.
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٤٦٦/٣، رقم
الحديث (١١٦٢). قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.
(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد، ٣٣٨/٤، رقم الحديث
(١٩٥٢) قال أبو عيسى وهذا حديث مرسل.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، ٨٣/١٢، رقم
الحديث (٦٠٥٠).

(هـ) حرمة تأويل أو تعطيل أو تغيب الفرائض والتكاليف الشرعية والحدود الإسلامية قال تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (المائدة ٤٤) ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (المائدة ٤٥) ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (المائدة ٤٧).

وقال النبي ﷺ : (إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، لو كانت فاطمة لقطعت يدها)^(١).

(٣) الحرص على المعاصرة والتمسك بالأصالة :

قال تعالى :ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (النحل ١٢٥) . أمر الله تعالى الداعي أن تكون دعوته بِالْحُكْمَةِ أي مشتملة على المقالة المحكمة الصحيحة ، والحجج القطعية المفيدة لليقين ، وأن تكون الدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يتقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس ، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها^(٢).

وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ التي يستحسنها السامع وينتفع بها ، وذلك بضرب الأمثال ، والوعد والوعيد مع خلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة، والعبر اللطيفة بالوقائع المخيفة ليحذروا بأسه تعالى^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب ذكر أسامة بن زيد ، ٧/ ٤٥٥ رقم الحديث (٣٧٣٣).

(٢) انظر تفسير الشوكاني ٢٤٣/ ٣ . في ظلال القرآن ٢٩٢/ ٥ .

(٣) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ؛ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ٣٢٤/ ٤ ، ط الأولى ، ١٤١٥-١٩٩٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . تفسير الشوكاني ٢٤٣/ ٣ . تفسير القاسمي ١٧٧/ ١ .

وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً ، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدونها ؛ فإنه أقرب إلى حصول المقصود ، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها ؛ بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها^(١).

فالخطاب الإسلامي يتغير من عصر إلى عصر ، كما أن الفتوى تتغير وتختلف بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد ؛ فالشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، وقد وقع بسبب الجهل بهذا غلط عظيم على الشريعة^(٢).

فبتجدد الحياة تتجدد الحوادث ، فالمتغيرات بمعنى النوازل الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأسرية أو غيرها تخضع لاجتهاد أهل العلم ، وبخاصة الاجتهاد الجماعي من خلال الهيئات والمؤسسات .

وكان من سياسة عمر رضي الله عنه مراعاة الحال والزمان دون إخلال بأحكام الله تعالى فقد أسقط حد السرقة في عام المجاعة ، وأسقط نصيب المؤلفه قلوبهم من الزكاة لأن الإسلام أصبح قوياً في عهده .

فما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نصاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك ، علمه من علمه وجهله

(١) تفسير السعدي ٩٣/٣ .

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٢/٣ - ١٣ ، ط الأولى ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ ، المطبعة العصرية ، بيروت .

من جهله ، فالتوايت لا تتغير ، مثال : حكم الصلاة لا يتغير في سفر ولا حضر ، ولكن جدّ في عصرنا وسائل السفر المختلفة فاجتهد المجتهدون لتوضيح أداء الصلاة في هذه الوسائل ونحوها^(١).

٤) الدعوة إلى الارتقاء الروحي مع تلبية الحاجات المادية باعتدال :

إن الله تعالى خلق الإنسان كائناً من طين الأرض ونفخة من روحه عزوجل ، وهذه النفخة الربانية هي التي ميزته عن سائر الحيوانات وجعلته أهلاً للخلافة . قال تعالى : **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** (البقرة (٣٠)).

لهذا نجد أوامر القرآن الكريم ونواهيه اتجهت لتهذيب الجسد كما الروح ، وإثراء الجسد كما الروح . قال تعالى : **يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** (الأعراف (٣١)) فهذا أمر الله تعالى لعباده بأخذ الزينة وذلك بلبس الثياب لستر العورة والتجمل ، وخاصة في المساجد لأن العبادات أولى أوقات التزيين ، **يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ** قد جمع الطب كله، ولما أمر بالملبس والمطعم ، نهى عن الإعتداء فيهما فقال **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** ثم علل ذلك بقوله : **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الأشياء لأن من لم يحبه الله لم يرض عنه ومن

لا يحبه الله لا يحصل له شيء من الخير فيحيط به كل شر^(٢).

(١) موقع من الفتوى . هل الفتوى تتغير باختلاف الزمان والمكان ، عبد الرحمن السحيم ، شبكة صحاب السلفية مقالة للشيخ علي الحذيفي .
(٢) نظم الدرر ٢٦-٢٥/٣ . القاسمي ٦٠/٧ .

وقال تعالى : وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتٰنَكَ اللّٰهُ الدّٰرَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ (القصص (٧٧)).

أصول الحضارة الإسلامية أربعة :

- (١) العمل الصالح ابتغاء ثواب الآخرة .
 - (٢) عمارة الدنيا بإتقان دون أن تستولي على مشاعر الإنسان .
 - (٣) الإحسان إلى الناس مادياً ومعنوياً وخلقياً .
 - (٤) قمع الفساد والعصيان والخراب .
- فالمؤمن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة ، لا في التجبر والبغي ، ولا يضيع عمره في غير العمل الصالح في دنياه ؛ إذ الآخرة هي التي يعمل لها (١).

فالحياة لا تصلح بغير دين ، ولا تستقيم بغير قلب سليم ، والتشريعات والنظم الوضعية لا تغني عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، والتأهب له بالعمل الصالح ، وأمتنا لا بد أن تجمع بين إيمان واضح ، وعمل صالح ، حتى يمكن لها وتستعد لآخرتها (٢) .

(٥) التبشير في الدعوة والتيسير في الفتوى :

قال الله تعالى : وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ (البقرة (١٨٥)) .

(١) التفسير المنير ٢٠/ ١٦٣ .

(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، محمد الغزالي ، ص (٣٠٣-٣٠٤) ، ط التاسعة ، ١٤٢٧-٢٠٠٧ ، دار الشروق ، القاهرة .

وقال تعالى: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (الحج (٧٨)) ،
وقال تعالى : لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا
(الطلاق (٧)) .

هذا أصل لقاعدة عظيمة ينبني عليها فروع كثيرة ، وهي أن المشقة
تجلب التيسير ، وهي إحدى القواعد الخمس التي يبني عليها الفقه ، والآية
أصل في جميع ذلك^(١).

فمن شأن الشريعة أنها إذا كلفت تكليفاً فيه مشقة ، فتحت باب
الترخيص ليسهل الأداء وليداوم عليه ويستمر من غير تملل ، ولا تحمل
المكلفين على أقصى المشقات^(٢). فانه تعالى يريد أن ييسر الطرق الموصلة
إلى رضوانه أعظم تيسير ، ولهذا كان جميع ما أمر به في غاية السهولة في
أصله فقد يستر عليهم دينه غاية التيسير ولم يجعل فيه من حرج البتة لكمال
محبتة لهم ورأفته ورحمته وحنانه بهم ، وإذا حصل بعض العوارض الموجبة
لثقله سهله تسهيلاً آخر إما بإسقاطه أو تخفيفه بأنواع التخفيفات ويدخل فيها
جميع الرخص^(٣)، ورفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع ،
وهي مما خص الله بها هذه الأمة^(٤).

وهذا الدين كله بتكاليفه وعباداته وشرائعه ، ملحوظ فيه فطرة
الإنسان ، وطاقته ملحوظ فيه تليينه تلك الفطرة ، وإطلاق هذه الطاقة
والاتجاه بها إلى البناء^(٥).

(١) الإكليل ص (٩٤) .

(٢) زهرة التفسير ٥٦٠/١ .

(٣) بدائع التفسير الجامع لما فسرہ الإمام ابن قیم الجوزية ، جمعه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد ، راجعه
ونسق مادته ورتبها صالح أحمد الشامي ، ٢٢٣/٢ ، ط الثانية ١٤٣١ ، دار ابن الجوزي ، الدمام . تفسير
السعدي ١٤٥/١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٩٢-٩٣/١٢ .

(٥) في ظلال القرآن ، ٦٣٢/٥ .

فالناس وخاصة في عصرنا الحاضر أخرج ما يكونون إلى التيسير عليهم ، والتخفيف عنهم رفقا بهم ومراعاة لحالهم ؛ حيث ضعفت الهمم ، وغلب على الناس التكاسل عن الخيرات ، وكثرت فيهم العوائق عن الخير والمرغبات في الشر .

وهذا التيسير إنما يكون في الفروع التي هي مجال رحب للاجتهاد والاختلاف .

ومعنى التبشير في الدعوة ذكر آيات الرحمة والعفو والمغفرة والتوبة وآيات الوعد والنعيم ، والإكثار من أسلوب الترغيب وبيان الثواب المترتب على الالتزام بالتوحيد والمداومة على الطاعات ، ولا مانع من ذكر آيات الوعيد والعذاب والبطش والتخويف من الله تعالى والترهيب من عذابه للتنبيه على العواقب المترتبة على ارتكاب المعاصي .

قال تعالى: نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٠﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ

الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥١﴾ الحجر (٤٩-٥٠)

٦) مواكبة الأحداث والتأثير بها والتعليق عليها والتأييد لما هو حق منها :

المقصود بالأحداث تلك الأقوال والأفعال والقضايا والصراعات والمسرات والأحزان التي تتعاقب بتعاقب الليل والنهار ، وقد عرفت في عهد التنزيل بأسباب النزول .

ومعنى ذلك أن الخطاب ينبغي أن يراعى فيه المتكلم والكاتب وأحوال الناس . فإذا كانوا في حالة سرور ونعمة ساق لهم من الآيات والأحاديث ما يدعوهم للحفاظ عليها لشكرها قولاً وفعلًا ، وإن نزلت بهم المصائب والأحزان والمتاعب الاجتماعية والاقتصادية أو غيرها ركز حديثه أو كتابته

على العلاج الناجح والنواء السليم الذي من شأنه أن يعمل على تخفيف تلك المصائب أو إزالتها ، مع الحث على الصبر الجميل وأخذ العظة والعبرة من هذه الحوادث .

هذه أهم الضوابط التي ينبغي مراعاتها في الخطاب الإسلامي .

الخاتمة :

الحمد لله الوهاب ، والصلاة والسلام على من آتاه الله الحكمة وأحسن الخطاب وعلى من تبعه إلى يوم يحكم فيه رب الأرباب .

بعد الانتهاء من البحث أذكر أهم فقرات البحث :

- (١) الخطاب يطلق على معانٍ كثيرة .
- (٢) فصل الخطاب لا يتم على الوجه الأفضل إلا إذا اقترن بالحكمة .
- (٣) تهدف الخطابة إلى التأثير في نفوس السامعين وإقناعهم بما يراد منهم
- (٤) على من يتصدى للخطابة أن يسعى لتتقيد نفسه ويعمل على الاهتمام بالموضوعات والمناسبات التي تمس المخاطبين في حياتهم الدنيوية والأخروية .
- (٥) الخطاب الإسلامي هو الذي يبرز حقائق الإسلام وشرائعه وتاريخه وتراثه في شتى مجالات الحياة.
- (٦) براعة القرآن الكريم في تصريف القول عند طلب الفعل من المخاطبين ونحو ذلك .
- (٧) ذكر العلماء أن الخطاب في القرآن الكريم على أكثر من ثلاثين وجهاً ويغلب عليها ألفاظ المدح والتشريف والكرامة .
- (٨) الخطاب الإسلامي لا يكون مؤثراً إلا إذا انضبط بضوابط وضعها العلماء والمفكرون لا بد أن يلتزم بها الخطباء .

٩) من الأمور المهمة في الخطاب الإسلامي تبشير الناس بالرحمة والمغفرة والعفو والتيسير عليهم في أمور حياتهم بما يوافق الأحكام الشرعية وعدم تكليفهم بالمشقات ، فالنفوس لا تحب التشديد والتضييق.

التوصيات :

الإسلام دين عالمي يتميز بالعدالة والرحمة والحب والتسامح وكل معاني الخير ، لذلك ينبغي أن يتعلم من يتصدى للخطابة ما يلي :

١) دراسة الأسلوب القرآني والنبوي في الدعوة إلى الله تعالى .

٢) إحسان الظن بالآخرين وعدم اتهامهم في عقائدهم وسلوكهم ، وعليه أن يتميز خطابه بالالتزام بالمنهج الإسلامي في الخطاب .

٣) تنمية المعاني السامية والأخلاق الكريمة في عامة المسلمين في جميع مناحي حياتهم الأسرية والتعليمية والتربوية والوظيفية ، لأن المسلم يؤثر بسلوكه أكثر مما يؤثر بخطابه .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع :

- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط بدون ، دار المعرفة، بيروت .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط الأولى، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ ، المطبعة العصرية ، بيروت .
- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا ، ط الثالثة ١٤١٦ - ١٩٩٦ ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .
- الأدب الإسلامي الفكرة والتطبيق ، الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود، ط الأولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٧، دار النشر الدولي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ط السابعة ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ ، دار السلام ، القاهرة .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير الجزري ، ط ١٤٠٩ - ١٩٨٩ ، دار الفكر ، بيروت .
- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط الثالثة .
- الاكلیل في استنباط التنزيل للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، راجعه وأشرف على تحقيقه أبو عبد الله مصطفى بن العدوي ، تحقيق عادل شوشة ، ط ١٤٣١ - ٢٠١٠ ، مكتبة فياض ، المنصورة .

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر جابر الجزائري ، ط الثانية ٢٠١٣ ، المكتبة التوقيفية ، القاهرة.
- بدائع التفسير الجامع لما فسرہ الإمام ابن قيم الجوزية ، جمعه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد ، راجعه ونسق مادته ورتبها صالح أحمد الشامي ، ط الثانية ١٤٣١ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، الشيخ جمال حمدي الذهبي ، الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي ، ط الأولى ١٤١٠ - ١٩٩٠ ، دار المعرفة ، بيروت .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، ط بدون ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط الأولى ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- تفسير العلامة أبي السعود ، ط بدون ، دار الفكر ، بيروت .
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، ط الثانية ١٣٩٨ - ١٩٧٨ ، دار الفكر ، بيروت

- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ ابن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط الأولى ١٤٢٢-٢٠٠١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- تفسير القرآن الكريم للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ، سورة البقرة ، ط الأولى ١٤٢٣ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .
- تفسير القرآن الكريم للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين سورة آل عمران ، ط الأولى ١٤٢٦ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .
- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، ط الثانية ، دار الكتب العلمية ، طهران .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، أ.د. وهبة الزحيلي ، ط الأولى ١٤١١-١٩٩١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت .
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، بإشراف أ.د. مصطفى مسلم ، ط الأولى ١٤٣١ - ٢٠١٣ ، جامعة الشارقة .
- التفسير الميسر ، إعداد نخبة من العلماء ، ط الخامسة ، ١٤٣٤ - ٢٠١٣ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة .
- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ، ط الثانية ١٣٩٦ - ١٩٧٦ .
- تفسير المراغي ، ط الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة الدكتور هاشم محمد علي مهدي ، ط بدون ، دار طوق النجاة ، بيروت
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم محمد زهري النجار ، ط ١٤٠٨ - ١٩٨٨ ، دار المدني بجدة .
- جامع البيان في مفردات القرآن ، جمع وتحقيق أ.د. عبد الحميد هندلوي، ط الأولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط الثالثة ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- الخطابة ، أصولها ، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، الإمام محمد أبو زهرة ، ط بدون ، دار الفكر العربي .
- دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، ط الثانية ، ١٩٧١ ، دار المعرفة ، بيروت .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل السيد محمود الألوسي البغدادي ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ، ط الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ ، دار الكتاب العلمية ، بيروت .

- زهرة التفاسير للإمام محمد أبو زهرة ، ط بدون ، دار الفكر العربي - القاهرة .
- سنن أبي داود ، راجعه وضبط أحاديثه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، ط بدون ، دار إحياء السنة النبوية .
- الشرح الميسر لصحيح البخاري ، للشيخ محمد علي الصابوني ، ط الأولى ١٤٣٢ - ٢٠١١ ، المكتبة العصرية ، لبنان .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، ط الأولى ١٣٤٩ - ١٩٣٠ ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن باز ، ط الأولى ، ١٩٩٣ - ١٤١٤ ، دار الفكر ، بيروت .
- فتح القدير للعلامة محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط الأولى ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني من خلال مؤلفه إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ، تحقيق د/ قاسم صالح ناجي الريمي ، الأولى ١٤٣٤ - ٢٠١٣ ، دار الكتب ، الرياض .
- في أصول الأحكام ، د/ سعيد سالم سعيد فاندي ، ط الأولى ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ ، المكتبة الجامعية ، ليبيا .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط الخامسة ١٣٨٦ - ١٩٦٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي ، ط بدون ، دار الفكر .
- الكليات لأبي البقاء ايوب بن موسى الحسيني القريميالكفوي ، تحقيق د. عدنان درويش ، محمد المصري، ط الثانية ١٤٣٢ - ٢٠١١ ، مؤسسة الرسالة ، دمشق .
- لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، ط الثالثة ، ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، دار صادر ، بيروت .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ط ١٣٩٥ - ١٩٧٥ .
- المعجزة الخالدة ، حسن ضياء الدين عتر ، ط الثانية ١٤٠٩ - ١٩٨٩ ، دار ابن حزم ، بيروت .
- المعجم في اللغة والنحو والصرف والاعراب والمصطلحات العلمية والفلسفية والقانونية والحديث ، غريد الشيخ محمد ، ط الأولى ١٤٣١ - ٢٠١٠ ، النخبة ، بيروت .
- مدارج السالكين للإمام العلامة المحقق ابن قيم الجوزية ، ط الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مدخل إلى الإعلام الإسلامي ، د/ سعيد إسماعيل صيني ، ط ١٤١١ - ١٩٩١ ، دار الحقيقة للإعلام الدولي .

- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، دار الجيل .
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط بدون ، دار الفكر .
- منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب ، إعداد أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، ط الأولى ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ ، دار العاصمة ، الرياض .
- الموسوعة العربية العالمية .
- النبأ العظيم ، د/ محمد عبد الله دراز ، ط الأولى ١٤١٧ - ١٩٩٧ ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، محمد الغزالي ، ط التاسعة ، ١٤٢٧-٢٠٠٧ ، دار الشروق ، القاهرة .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ، ط الأولى ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، ط بدون ، دار الفكر .
- هدي الفرقان في علوم القرآن د/ غازي عناية ، ط الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٦ ، عالم الكتب ، بيروت.

المواقع الإلكترونية :

- * الخطاب الديني مصدره القرآن والسنة ، لشيخ الأزهر د / محمد سيد طنطاوي .
- * الخطاب الديني وكيف يكون ، د/ محمد سيد طنطاوي .
- * المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة ، د/ عبد العزيز التويجري .
- * موقع الوعي الإسلامي ، تجديد الخطاب الديني ضرورته وضوابطه .
- * شبكة الشاهد ، الخطاب الإسلامي : دلالة المفهوم والمصطلح ، د/ عصام البشير .
- * ضوابط الخطاب الإسلامي للدكتور يوسف القرضاوي .
- * هل الفتوى تتغير باختلاف الزمان والمكان ، عبد الرحمن السحيم ، شبكة صحاب السلفية مقالة للشيخ علي الحذيفي .